

المدينة الجزائرية ورهانات الزمن الحاضر

ملتقى وطني تكريماً لـ : المرحوم الأستاذ عبد القادر لقعج

وهران 8 و9 جوان 2022

آخر أجل من أجل تقديم المقترحات: 30 أفريل 2022

الديباجة:

تعكس المدينة باعتبارها محبطاً للتفاعل الاجتماعي نمطاً للعيش، إ بمثابة قوة قسرية على الفاعلين الذين يجسدون البعد الاجتماعي. المدينة (من الأصح اعتماد الجمع في ذلك، وسنعود إلى هذه النقطة لاحقاً) تعد موضوعاً بحثياً في العلوم الاجتماعية والإنسانية، فهي من وجهة نظرنا، موضوعاً سوسيولوجياً وأنتروبولوجياً بشكل خاص. يعتبر عبد القادر لقعج (لقعج 2009): "المدينة موضوع سوسيولوجي بامتياز". تشكلت فكرة تنظيم هذا الملتقى لهدف رأسملة، وتعزيز الأعمال البحثية المنجزة، أو في طور الانجاز، عبر الجامعات، مراكز / مختبرات البحث، أو (لكي لا نقصها) مكاتب الدراسات الحضرية، في الجزائر وغيرها، نريده لقاء يهدف إلى فهم "واقع" المدن الجزائرية بتنوعاتها وتعقيداتها. ليست المهم سهلة بناء على ثراء الحياة الحضرية (كواقع سوسيولوجي) صعب توقعها أكبر أجزائها، ومع ذلك لا بدّ من توسيع الجهود التي، رغم أننا على وعي بها، إلا أن تحديها أمر طموحٌ جداً، فملتقى واحد لا يمكنه أن يكون كافياً لتقييم كل ما تم إنتاجه من أعمال أكاديمية وتقارير بحثية وخبرات فنية ومنشورات معرفية وما إلى ذلك. لهذا السبب فإننا ندعو أولئك الذين يرغبون في المشاركة في هذا الملتقى، بالتدبر في بعض من مشاهد الواقع الحضري في الجزائر.

1- المدينة والرابط الاجتماعي

بداية.. علينا أن ننوه بالخاصية القسرية التي تتمتع بها المدينة، فهي تتحكم في المجتمع الذي يشغلها، تماماً مثل المؤسسة التي تسوي وتنبير الممارسات، وتفرض جملة من قواعد السلوكيات، تصقل المخيال وتحوله. المدينة الراهنة، أو المدينة المعاصرة، بقدر ما هي تهيئة اجتماع-مكانية، "[...] لها خصائصها: الكثافة السكانية الكبيرة، أولوية الإطار المبني على المحيط الطبيعي، إلخ. ولكن، بقدر ما هي سيرورة، تروم الحضرية لتأثير وبشكل واسع النطاق على جميع الأنشطة الاجتماعية، والسكان والفضاءات. بصورة ما، تحضر المدينة اليوم في كل مكان، إن لم يكن هذا الحضور بشكل مادي، فهي على الأقل حقيقة مجتمعية" (Grafmayer 2008). ومع ذلك تبقى المدينة شديدة التأثير لما يحدث في المجتمع من تحولات والتغيرات. إن فهم واقع المدينة الجزائرية راهنيا نابع من الرغبة في فهم التغير الاجتماعي في اللحظة التي يحدث في رحمتها. ليست هذه التغيرات معشّة، من خلال قوتها وإيقاعها، بالطريقة نفسها، في جميع المؤسسات البشرية المسماة مدنًا. فإذا كان "الحضري" واحد، فإن "المدينة" جَمْع (لقعج 2009). وهي الفكرة نفسها التي دافعت عنها فاطمة أوصديق والتي كتبت في خلاصة مقال نشر عام 2017، "علينا أن نكون حذرين تجاه محاولات البناء القائلة بالتجانس الحضري وتراثية المدن" (أوصديق 2017). لكل مدينة خصوصيتها، وتاريخها (الحاضر جزء من التاريخ)، وثقافتها (بالمعنى الأنثروبولوجي للمصطلح). أن ننتقل من فكرة تعدد المدن وتنوعها يؤدي بنا إلى:

أولاً، التخلص من النموذج العالمي (الغربي) لما يجب أن تكون عليه مدينة، والذي يجعلنا ننفي وجود المدن الجزائرية.

ثانياً، لكل مدينة أصالتها، فهم الديناميات الحضرية في الجزائر يتم عبر استكشاف وتحليل هذه الأصالة، أساليب الحياة هي المقصود بذلك.

ثالثاً، أن نضع بين قوسين، ولو لوضع ساعات التي سيدومها هذا الملتقى، "صورة الإطفائي" التي نتبناها في كل أزمة تمر بها المدن، مثل كوفيد-19 أو الحراك قبل ذلك، على سبيل التشبيه لا الحصر. هذا يؤدي هذا بالتأكيد، كما يشير كوفمان، إلى حصر البحث الحضري "في العموميات والإثباتات الكليانية، أو الخوض في

تحليلات جد محددة ومنتشرة" (Kaufmann 2014). بالتأكيد، تترافق دائما الحضرية الناشئة مع إعادة تأسيس الرابط الاجتماعي، الحضرية المتنقلة، تكون الحضرية الناشئة بالضرورة مدعومة بالتغير الاجتماعي. يمر فهم الظاهرة الحضرية في الجزائر بكشف العوامل المؤثرة على المجتمع في مجمله، وتحولاته والعكس صحيح.

2- نمط الحياة الحضرية

"كتب روبرت بارك أن المدينة هي حالة ذهنية، مجموعة من العادات والتقاليد، من المواقف والمشاعر المنظمة، المتأصلة في عاداتها والتي تنتقل مع هذه التقاليد. [...] إنها منخرطة في السيرورات الحيوية للناس" (Grafmeyer and Joseph 1990). هذا يعني أن الفرد حضري بمجرد أن يصبح مستخدماً للمدينة. تكون المكانة الحضرية نتيجة لسيرورة التنشئة الاجتماعية. نتعلم ممارسة المدينة بنفس الطريقة التي نتعلم بها الكلام. على الحضري بالتبني (المهاجر)، أن يتأقلم مع الواقع الجديد، وهذا من خلال الاستناد على ثقافته، تلك التي ترتبط بمكان المغادرة في سبيل التعلم واندماج في ثقافة جديدة، أي ثقافة مكان الوصول. المدينة، هذه الوحدة الجغرافية هي أيضاً "منطقة ثقافية تتميز بنوعها الثقافي الخاص".

الحضري/المديني ليس فقط الشخص الذي يعيش في المدينة، بل هو أيضاً "مستهلك" لثقافتها، وفي هذا الموضوع كتب فيليب جيرفيه لامبوني: "لا يتم تحديد ساكن المدينة فقط من خلال منزله وطرق عيشه، ولكن أيضاً من خلال سلوكه اليومي، ومعرفته تحكمه في الفضاء الحضري. باختصار، هو أيضاً من يعلم ويعرف كيف يستخدم المدينة.. (Gervais-Lambony 1993)"

3- الحركية:

سواء أكان الحراك اجتماعي، سكني أو يومي يبقى هذا سمة أساسية من سمات الحياة الحضرية، وهو ميزة لنمط حياة سكان المدينة. إن تنقلات الناس، تمامًا مثل حركة الأشياء أو الأفكار، كما يشير كوفمان، "هي تنقلات في قلب التغيرات العالمية وتطال جميع مجالات الحياة الاقتصادية، السياسية والاجتماعية" (Kaufmann 2014).

الحراك السكني، الحراك الاجتماعي

بعيدًا عن كونه نسقًا، فإن الحراك السكني دائمًا ما يكون مصحوبًا بالحراك الاجتماعي. يمكن أن يحيل تغيير مكان الإقامة إلى التغيير في الوضع الاجتماعي: قد يكون ترقية، إن كان الانتقال من حي شعبي، كي يستقر في حي راق. كما يمكن أن يكون مرادفًا للانحدار، إذا تحول الفرد من مالك لمسكنه، إلى أجير في مسكن لا يملكه. من المفيد إذا التساؤل عن معنى الترقية و/ أو الانحدار الاجتماعي الذي يتم حوله تنظيم التنقل كمارسة، ولاسيما كاستراتيجية.

التنقل السكني، ما يحفزُه !

إذا كانت للمدينة ميزة غربلة السكان وتوزيعهم وفقًا لمراتبهم الاجتماعية، ومكانتهم، وأصولهم الاجتماعية، والجهوية أو العرقية، فإنها تمنح، مع ذلك، هامشًا من الحرية للاختيار من بين عدد (محدود، فالدقة هنا تعد بالفائدة) فضاءات لانتقاء الإقامة. وبالتالي، فالساكن الذي يجد نفسه مضطرًا للعيش في حي عشوائي، يمكن أن يختار دورًا يقع بالقرب من منزل والديه. شكل من أشكال إعادة تشكيل الأسرة، في شكلها الممتد، والذي سينتشر في الفضاء، كما أشارت فاطمة أو صديق في تقريرها البحثي "التحولات الأسرية في المناطق الحضرية" المنشور في عام 2012 (Oussedik 2012)

السير في المدينة، اللا-مكان.

المدينة ليست مجرد فسيفساء من "الأقاليم" التي تنتقي وتختار، ولكنها تحتوي أيضًا على شبكة من الطرقات وجملة من "اللا أمكنة". هي نفسها الطرقات التي تختصر (الوقت) المسافات في "صباح الجمعة"، والتي تبعدا بشكل غير مناسب عند وقت الذروة في سائر أيام الأسبوع. مراكز التسوق ومحطات القطارات وغيرها من "اللا أمكنة" التي يختلط بها الآلاف من الناس، يحمل كل فرد من هؤلاء "محلتيه"، كما يقول مارك أوجي (أوجي 1992). كل من ديمقراطية السيارات، إدارة النقل العام، تهيئة خطوط الترامواي تساهم في إعادة تشكيل المدينة، وبالتالي العلاقات بين سكانها، وعادات مجتمعها.

4- الدينامية الاقتصادية

الاقتصادي هو جزء من الاجتماعي، هذه التركيبة هي محرّك الحياة الحضرية. الصناعات، وكذلك التجارة، تجعلان المدينة تنبض بالحياة. يتم تصنيف المدن، لأسباب ما، إن لم تكن موافقة لحجها فوفقًا لنشاطاتها الاقتصادية السائدة فيها على أنها: مدن سياحية، مدن صناعية، مدن إدارية، مدن تجارية، إلخ. الحقيقة الجلية في العقد الماضي، على الأقل في المدن الكبرى: الظهور المتزايد "للمتاجر الراقية أو ما يسمى "supérette"، والتي باتت تهدد وجود المتاجر التقليدية الجوارية الصغيرة، وذلك بسبب الخيارات الواسعة والمتنوعة للمنتجات، كما أنّ طرق العرض فيها أكثر جاذبية. وبما أن النقل متوقّف، يزداد التردد على المتاجر الكبرى والأسواق المتشعبة الكائنة في مناطق الأنشطة الاقتصادية المتنوعة بمحاذاة المدينة. من هذا المنطلق، يخضع التسوق، بما هو سلوك حضري، لمعايير تجارية جديدة، عملية أحيانًا، بل وحتى جمالية في أحيان أخرى.

سلوك آخر مستجد لا يبدّ من الإشارة إليه، بات اللجوء إلى "تجارة (الاقتصاد) المنصات" لحل مجموعة من المشاكل اليومية أمرًا مألوفًا. فمنصات افتراضية كـ Jumia مثلًا، والذي تعتبر مركزًا للتسوق عبر الإنترنت، تعرض كل الأغراض الذي يحتاجها الفرد في حياته اليومية: من قارورة زيت الطهي إلى أجهزة التلفزيون ذات الشاشات العملاقة مرورًا ب: الأواني المنزلية. عرف هذا الشكل الجديد من التجارة نجاحًا كبيرًا مع الأزمة الصحية والحجر الصحي. هذا الشكل من التجارة وهذا السلوك لم يعد مرتبطًا بالمنصات الافتراضية المعروفة، حتى أصحاب المتاجر الصغيرة للألبسة والأواني تبنوا هذا الشكل التسويقي، فصاروا يعرضون سلعهم على منصات التواصل الاجتماعي مع خدمة التوصيل مستخدمين في ذلك مركباتهم الشخصية. مما لا شك فيه أن التجارة عبر الإنترنت تنمو وتتنوع. تتوقّف منصات نقل الأشخاص أيضًا. تؤدّي "يسير" « Yassir »، نوع من المؤسسات التكنولوجية

ذات العلاقة بسائقي السيارات لتقديم خدمات النقل على الطريقة الجزائرية، عملاً جيداً، ولكن على خلاف الشركات العالمية للنقل، فإن خدمات "يسير" « Yassir » لم تبلغ مبلغ المنافس لسيارات الأجرة، نظراً لخصوصيات محلية، ولنقل جزائرية، بالتحديد.

ندعو الباحثين المهتمين بالمدينة والظاهرة العمرانية للتفكير في المحاور المقترحة أعلاه، دون إجبارهم على التقيد بها.

Bibliographie

- Augé, Marc. 1992. *Non-lieux : introduction à une anthropologie de la surmodernité*. Gallimard.
- Gervais-Lambony, Philippe. 1993. « A travers images et pratiques : le fait citadin en Afrique noire : étude comparée de Lomé, Togo et de Harare, Zimbabwe ». These de doctorat, Paris, EHESS.
- Grafmayer. 2008. « Un invité sur SES-ENS : quelques questions à Yves Grafmayer sur la sociologie urbaine — Sciences économiques et sociales ». Consulté 19 mars 2022 (<http://ses.ens-lyon.fr/articles/un-invite-sur-ses-ens-quelques-questions-a-yves-grafmayer-sur-la-sociologie-urbaine-53220>).
- Grafmayer, Yves, et Isaac Joseph. 1990. *L'école de Chicago. Naissance de l'écologie urbaine* -. Paris: Aubier.
- Kaufmann, Vincent. 2014. *Retour sur la ville : Motilité et transformations urbaines*. PPUR Presses polytechniques.
- Lakjâa, Abdelkader. 2009. « Les périphéries oranaises : urbanité en émergence et refondation du lien social ». *Les Cahiers d'EMAM. Études sur le Monde Arabe et la Méditerranée* (18):29-44. doi: 10.4000/emam.184.
- Oussedik, Fatma. 2012. « Mutations familiales en milieu urbain. Algérie ».CRASC.
- Oussedik, Fatma. 2017. « Mutations familiales en milieu urbain en Algérie ». *Raison presente* 203(3):73-84.

جدول المواعيد:

الموعد النهائي لاستلام الملخصات: 30 أفريل 2022.

إشعار بالقبول أو الرفض: 10 ماي 2022.

إرسال المداخلات كاملة قبل 1 جوان 2022.

مواعيد الملتقى: 8 و 9 جوان 2022.

مكان انعقاد الملتقى:

قاعة طالحيت ، مجمع مراد سالم طالب (IGMO سابقاً) وهران .

[رابط التقديم: https://forms.office.com/r/KeCLa6Q7Be](https://forms.office.com/r/KeCLa6Q7Be)

التنسيق:

مهدي سويح

souiah.mehdi@univ-oran2.dz

توفيق مالك شليح

malekchelih.tewfik@univ-oran2.dz

بلخير بومحراث

boumohrat.belkheir@univ-oran2.dz

